

مختارات من شعر اقبال

للشيخ الصاوي شعلان

الى القارىء الكريم هذه القصائد الثلاث من شعر اقبال وهى بداية لسلسلة من ترجمة اشعاره ، اما القصيدة الاولى فان اقبال يعرض علينا لينين على مسرح التاريخ و قد لقي ربه فوقف بين يديه معترفا بالحقيقة العليا ومقررا بوجود الله ومعتذرا عما حجب عن عينه نور الفطرة من آراء علماء المادة على اختلاف مشاربهم وموضوعاتهم ثم هو يسأل الله عن مصير هذا الانسان الحائر بين الغرب الذى يعبد عجل الذهب و بين الشرق الذى ينحن ذليلا امام المستعمر ثم ينتهى الى ما اصاب الحياة الروحية من تزلزل امام دوى الآلات و المصانع مترقبا لحقوق العمال يوما تتحقق فيه العدالة و يكون ذلك يوم الحساب و فيه العدالة و فصل الخطاب .

اما القصيدة الثانية فهى تمجيد و تخليد لفتاة عربية استشهدت فى المعركة و هى تحمل الماء الى الغزاة فى حرب تحريرية فى طرابلس و قدمت من نفسها أرفع مثال للشجاعة و أعلى قدوة للبطولة و صور لنا اقبال كيف استحال مأتمها الباكي الى عرس ضاحك يشرق المجد فى معالمه و تضىء الحرية من نواحيها و كان فاطمة هذه تعد بمثابة اعلان لقدوم جيل يكتب الصفحة الجديدة فى عظمة الشرق و الاسلام . اما الثالثة فهى هدية اقبال الى رسول الله صلى الله عليه و سلم .

١- لينين بين يدي رب العلمين

تلك آياتك يا رب الورى واضحات يبهـر الشمس ضياها
هى فى انفسنا مشرقة وهى فى الافاق لا يخفى سناها
شهدت انك حى قائم سرمدى دائم لا يتناهى
كنت من ذاتك فى شك فلم يؤمن القلب و لم يجحد علاها
نظرات العقل لم تثبت على حالة ترجو بها النفس هداها

راصد النجم بأسطر لا به وخبير النبت وسط المعمل
غاب عن و عيها السر الذى كان فى الفطرة منذ الازل
لم ازل حتى اذا ما اسفرت آية الحق و بان الرشـد لى
و تبينت الهدى عن عالم قد بدا للعين كالصبح الجلى
و صح عندى كل ما قد خلتـه من اساطير حديث الهيكل

بين ليل و نهار كنا فى قيود ما لنا منها هرب
انت قدرت المواقيت و ما يحتويها من عصور و حقب
لى سؤال عى فيه مقولى و بقلبي منه شك و لهب
من هو المعبود للانسان فى عالم طاشت باهليـه الريب ؟
فاله الشرق مستعمره واله الغرب عجل من ذهب

نهضت بالعلم اوربا كما جدد الفن بها ابهى حلاه
لم تجد فى النور الاحيرة و انقساما طال بالقوم مداه
ان بحر الظلمات اجتاحتها ثم لم تعثر على عين الحياه
مصرف المال بها مرتفع كاد يعلو موضع النجم ذراه
و ترى المعبد فى جانبه خامل البنيان محزون الصلاه

اقمار ام تجارات بها
 ملعب الميسر في اسواقهم
 ربح فرد من خواقين الربا
 هذه الحكمة في تدبيرهم
 و المساواة التي نادى بها
 سارقوا الاقوات مصاصو الدماء
 تملأ الصبح ضجيجا و المساء
 قائم في شكل بيع و شراء
 موت الف من ضحايا الابرياء
 لم ينلها غيرهم في الحكماء

هذه العطله و الافلاس و الـ
 هي كبرى المدنيات التي
 فتحوا من كل شر بابيه
 اطفأوا من كل قلب نوره
 حرموا فيض السموات العلى
 عرى والاغراء و الكاس المدار
 يزعم الغرب بها نيل الفخار
 اى فتح بعد ذا، اى انتصار؟
 و استعادوا البرق عنه و البخار
 و احلوا قومهم دارالبوار

و قضت اجهزه الغرب على
 تسحق الآلات في دولابها
 و سجايا الحب و البراختفت
 و ارى خلف الدياتجى نذرا
 قدرة العقل ستتهاراذا
 كل امن او سلام ينتظر
 سيم الخير كالمح بالبصر
 فهمى تاريخ و ذكرى للبشر
 ذات احداث فما تغنى النذر
 ما اى لالعاب شطرنج القدر

حانة القوم تداعت و اعترى
 والوجوه الحمر خاف سرها
 انت عدل و ارى العمال فى
 و رؤس المال يجرى فلکها
 عالم الانسان يا رب الورى
 زعماء الحان هول و اضطراب
 حمرة الاصباغ ام لون الشراب
 عيشة ضنك و بؤس و اكتئاب
 فمتى يغرقها طامى العباب؟
 فى انتظار العدل من يوم الحساب

٢- علي ضريح فاطمة بنت عبد الله التي استشهدت في
سبيل الله وهي تسقى الغزاة في حرب طرابلس

رمز العلي وسمية الزهراء
يا نور وجه الملة البيضاء
سكنت رفاتك تحت اطباق الثرى
قدسية الانوار و الاضواء
حظ من العلياء قل نظيره
لسواك يا حورية الصحراء
ارويت أبطال الغزاة بكوثر
من رحمة من قبل سقى الماء
جاهدت صابرة و لم تنقلدى
سيفا ولا درعا الى الهيجاء
ما سر هذا الشوق و الهمم التي
زاحمت فيها موكب الشهداء
قدمت في استشهادك المثل الذي
يبقى على الايام خير بقاء
كانت خميلتنا على وشك البلى
و المحبوبين عواصف النكباء
كيف ازدهت رغم الخريف و اسفرت
عن مثل تلك الزهرة الفيحاء
كيف انزوت يا رب تحت رمادنا
تلك الشرارة فيه طى خفاء

أولم تزل رغم الخطوب مليئة
صجراؤنا بجآذر و ظباء
والرعد والبرق الذي يغزو الدجى
بوميضه في حالك الظلماء
كيف اختفى يا رب خلف سحابنا
في وقت صحو و انقطاع رجاء
وكم اعترتني في مصابك لوعة
و سكبت دمع الديمة الوطفاء
وذكرت ما ادركت من شرف العلى
فنسيت آلامى و مر بكأى
و تبدلت قـيثارتى بأنينها
في المأتم الباكي نشيد غناء
في كل قلب من ترابك نشوة
من عزيمة و ثابة و مضاء
يتدفق الطوفان من جنباته
و تشب منه لوافح الرضاء
و بشائر الآمال في رقصاته
يحي صداها ميت الاحياء
الصمت يعلن من ضريحك ثورة
و لرب صمت فاق كل نداء
فى هذه الاحضان تولد امـة
تبنى صروح المجد خير بناء
أنا لست أدري ما وراء الكون من
مكنون اقدار و غيب قضاء

لكن جيلا صاعدا يبدو على
 قرب المدى في نضرة و نماء
 مثواك مولده القريب و بعثه
 و مناره الهادي الى العلياء
 و أرى نجوما كالدراري أو مضت
 بالنور تحت القبة الزرقاء
 تقف النواظر حاسرات دونها
 و يشير منظرها خيال الرائي
 تطوى الفضاء فما يبالي ركبها
 بشروق صبح أو ظلام مساء
 بسلاح ماضيها و حاضر يومها
 تمضي الى غدها بغير و ناء
 بقديمها و جديدها نحو العلى
 في غير تشويف ولا ابطاء
 لبيك فاطم انت قد ارسلتها
 مرأة مجدك في سنا و مناء
 قدر تجلى منك في اشراقها
 ذكرى لكل مجاهد و فدائي

٣- هدية اقبال الى رسول الله

صور اقبال فكرة خلود الشهداء في حرب طرابلس في لوحة شعرية
مشرقة قال تحت عنوان "في حضرة الرسول":

حين ضقت ذرعا بضوضاء هذه الدنيا و اثلت الهموم كاهلي حزمت
امتعتي و ازمعت الرحيل و انى و ان قضيت كل ايامى في قيد الصباح و
المساء فاننى اشعر بغربتي عن نظام هذا العالم و مقاييسه لقد حملتني
اجنحة الملائكة الى مقام من اختاره الله رحمة للعلمين - و ما ان
مشلت في حضرته حتى سمعت نداء يقول "يا بلبل" روض الحجاز
كم لك من اغان اذا بت البراعم و الازهار بجرارة الانعام السحرية
انها تعبر عن خفقات قلبك و تتحدث عن نشوتك بخمر العشق - ان
سجداتك في سكرة الاليل ترسم القدوة الصالحة للمؤمنين و لكنى أسائك
و قد تعلمت الطيران و التحليق على اجنحة الملائكة و جئت لنا انسانا
من عبيد الورود

ماذا حملت الينا من عالمك الذى خلفته وراءك ؟ قلت يا نبي الله
اشكو اليك همومى و حرمانى من طمانينة النفس فانى لا أجد الحياة التى
أو اصل البحث عنها في كل مكان - ان الرياض في كل مكان من الدنيا
حافلة بالخمائل مليئة بالشقائق و الازهار و لكنى لم اجد في جميعها
زهرة واحدة تحمل رائحة الوفاء على انى يا نبي الله اتيت اليك بما لا
يوجد مثله في الجنة ، انها رمز من كرامة امتك انها زجاجة مليئة بدماء
قانية من شهداء طرابلس :

و لما توالى في الحياة ضجيجها و ضاق بها صدرى و طال عنائى
حملت من الدنيا متاعى لرحلة تخفف ما أشكو من البرحاء

على رغم انى ما برحت مكبلا
 فما زلت حرا من تقاليد عالم
 بأجنحة الاملاك ارسلت همتى
 اذا أنا بالنور الذى من شروقه
 هو النير المبعوث للخلق رحمة
 يقول تقدم ايها البلبيل الذى
 تغنيت فى روض الحجاز فرائد
 وكاد يذوب الورد وجدا ورقه
 وانغامك النشوى تفيض على الربى
 وكم سجدة فى مخدع الليل لم تنزل
 تمثلت انسانا من العطر و الشذا
 نقلت متى يا اكرم الخلق تنقضى
 ارى كل روض بالازاهير حاليا
 يجود بمجمر الشقيق عرائسا
 وما ذكرتنى فى الخمائل زهرة
 وطافت باحلامى ضحايا طرابلس
 لقد بذلوا فى ارضهم ثمن العلا
 لقد سجلوها قصبة قرمزية
 ونهنى المهادى البشير و قال لى
 نقلت له هذى الوديعه فى يدي
 فما حوت الفردوس يوما نظيرها
 فقال و ماذا ؟ قلت هذى هديتى

بلقيا صباح و ارتقاب مساء
 ارى اننى فيه من الغرباء
 الى كل اوج صاعد و علاء
 تطالعنا شمس الضحى بضياء
 نبى البرايا اصدق الرحماء
 سرى حبه شذوا بكل فضاء
 تحف النخيل الخضر حول قباء
 بمالك من شذو و طيب غناء
 اناشيد حب صادق و ولاء
 بها قدوة الابرار و الصلحاء
 تجوب الينا باب كل سماء
 همدسى و القى فى الحياة رجائى
 ندى الشذا فى نضرة و نماء
 تيمس بها الاغصان فى خيلاء
 بعطر اخاء او نسيم و فناء
 و ابناء ابطل بها شرفاء
 لتحريرها من عصبه الدخلاء
 مسطرة امجادها بدماء
 بأى المهاديا جئت يوم لقاء ؟
 تزيد على الياقوت حسن بهاء
 جلالة قدر أو جميل رواء
 زجاجة طيب من دم الشهداء